الكرمل أبحاث في اللغة والأدب

العددان ٣٢-٣٣ (٢٠١١-٢٠١٢)

المحرر المسئول: إبراهيم طه
سكرتير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: رؤوبين سنير، شمعون بلاص، جورج قنازع

مستشارو التحرير (حسب الترتيب الأبجدي):
أريه ليفين (الجامعة العبرية في القدس، إسرائيل)
ألبير أرازي (الجامعة العبرية في القدس، إسرائيل)
إيزابيلا كاميرا دي أفليتو (جامعة روما، إيطاليا)
بنيامين أبراهاموف (جامعة بار إيلان، إسرائيل)
بو إسأكسون (جامعة أوبسالا، السويد)
جاكو هامين- أنتيلا (جامعة هلسنكي، فنلندا)
جوزيف زيدان (جامعة ولاية أوهايو، الولايات المتحدة الأمريكية)
جيرت جان فان خيلدر (جامعة أكسفورد، بريطانيا)
رئيف جورج خوري (جامعة هايدلبيرج، ألمانيا)
روجير ألين (جامعة بنسيلفانيا، الولايات المتحدة الأمريكية)
ساسون سوميخ (جامعة تل أبيب، إسرائيل)
سوزانة إنديرفيتس (جامعة هايدلبيرج، ألمانيا)
ميئير بار- أشير (الجامعة العبرية في القدس، إسرائيل)
يوسف سادان (جامعة تل أبيب، إسرائيل)

شمعون بلاص باحثًا أدبيًّا

ساسون سوميخ

يعتبر شمعون بلاص من بين كتاب الطليعة في الأدب العبري المعاصر، إلاّ أنّ صلته بالأدب العربي الذي نشأ وترعرع في رحابه لم تنقطع في يوم من الأيام ولمدة ربع قرن أو أكثر شغل منصب أستاذ الأدب العربي المعاصر في جامعة حيفا، كما انتخب رئيسًا لقسم اللغة العربية وآدابها لعدة سنوات.

ما يدفعني للكتابة عن شمعون بلاص ليس كوننا زميلين في التعليم الجامعي فحسب وإنما أننا زميلان، ولعقود متعاقبة، في العمل المشترك في عالم الأدب. ففي عام ١٩٥٤ أقمنا معًا بالاشتراك مع الصديق الراحل دافيد صيمح "ندوة أصدقاء الأدب العربي في تل أبيب". واستمرت صداقتنا حتى اليوم.

كانت بداية صلة الأستاذ بلاص بأبحاث الأدب العربي بمستواها الأكاديمي في جامعة السوربون في باريس، حيث قدم رسالة الدكتوراه في ثمانينات القرن الماضي وكان موضوعها "النكسة في الأدب العربي ١٩٦٧-١٩٧٣". وأذكر أنني كنت من اقترح عليه خوض هذا الموضوع وذلك حين أشرفت عام ١٩٧٠ على تحرير عدد خاص من مجلة "كيشت" الأدبية التي أصدرها أهرون أمير وقد اقترحت عليه إعداد مقال عن الأدب العربي بعد ما يسمى بالنكسة. وفعلا أتحفني الصديق العزيز ببحث طويل يستعرض فيه بعمق ما كتب الشعراء والقصاصون في أرجاء العالم العربي. والواقع أن من يراجع الأطروحة التي كتبها في باريس

سيجد آثارًا لمقال "كيشت" في البحث الجامعي المتكامل.

إن المتمعن بما نشر الأستاذ بلاص من المنطلق الأكاديمي الخالص، لا بد أن يعجب لاتساع آفاقه المكانية والزمانية. وتتناول هذه الأبحاث قضايا شغلت الأدباء والمفكرين في القرن الماضي، حين نما وتشعب أدب عربي جديد تطورت فيه أنواع أدبية لم تكن موجودة في السابق. لذلك فالكثير من أبحاث بلاص الأدبية يدور حول استكناه السبل الجديدة واستيعابها في إطار اللغة العربية المعاصرة التي تطورت هي أيضا بموازاة الأنواع الأدبية الجديدة.

لعل أهم ما أنتجه بلاص في المجال البحثي هو كتابه "الأدب العربي في ظل الحرب" وهو موضوع أطروحة السوربون التي أشرف عليها الأستاذ شارل بلا. في هذا الكتاب الحافل يستعرض بلاص العشرات من النصوص العربية التي صدرت في كتب ومجلات في أواخر الستينات وأوائل السبعينات. ومما يثير الاهتمام أنه رغم الكم المدهش الذي يميز النصوص المدروسة، لا يشعر القارئ بأن بلاص كتب ما كتب بسرعة ولهوجة. ولا شك أن لموهبته الأدبية كقاص دورًا في هذه الرشاقة الأسلوبية.

لا أود التوسع في الحديث عن هذه الخاصية الملازمة للأستاذ بلاص في كتاباته الأكادمية وأشير إلى اهتمامه بإنتاج أدباء يمثل كل منهم جانبين مختلفين: كون هؤلاء الكتاب نموذجًا لما عانوه من صعوبات في انصياعهم لضرورة الانفتاح للأنواع الأدبية المستحدثة، والثاني كونهم كتابًا لم يدرس انتاجهم بما فيه الكفاية، بل إن بعضهم أهمل أو كاد ينسى. لهاتين الخاصتين ينتمي الكاتب التونسي محمود المسعدي والكاتب العراقي شالوم درويش والكاتب الفلسطيني جمال الحسيني؛ وأخيرًا وليس آخرًا الأستاذ الجامعي المصري منصور فهمي. وفي مقدمة دراسته عن المسعدي أعرب بوضوح عن أسباب اهتمامه بالكتاب الذين اختار أدبهم موضوعًا لأبحاثه.

أود أن استعرض بشيء من التوسع بحثه المتميز عن منصور فهمي الذي سماه "شخصية سريعة التكيف". كان الدكتور فهمي من أوائل رجال البحث الأكاديمي في مصر والعالم

العربي في مجال العلوم الأدبية ومن طلائع المرسلين للدراسة في أوروبا قبل الحرب العالمية الاولى. وقد تخصص فهمي في دراسة الأدب العربي والحضارة العربية الوسيطة في جامعة السوربون وقدم اطروحته المعنونة "حالة المرأة في الإسلام"، ولكن هذه الأطروحة لم تصدر حتى اليوم بالعربية. وقد جوبه فهمي حال عودته إلى مصر بتهمة شنيعة تزعم أنه هاجم الدين الإسلامي في أطروحته التي أشرف عليها البروفسور ليفي بريل من أقدر أساتذة العلوم العربية في أوروبا آنذاك. وعلى أثر هذه الإشاعة أبت الجامعة الأهلية المصرية التي أرسلته إلى باريس توظيفه كأستاذ من أساتذتها. ولم يحصل الدكتور فهمي على وظيفة في الجامعة إلا بعد مرور عشر سنوات. ثم انتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية في القاهرة.

وبخلاف ما حدث لدارسين مصريين درسوا في أوروبا قبل فهمي، ومنهم رفاعة الطهطاوي وطه حسين والأخوان مصطفى وعلي عبد الرازق، فقد اعتصم فهمي سنوات عديدة في برجه الجامعي العاجي ولم يشارك في المعارك الوطنية والاجتماعية التي اشتد وطيسها في مصر في عشرينات القرن وثلاثيناته. وقد أدى تقوقعه إلى حدوث تنافر بينه وبين طلابه في جامعة فؤاد الأول وهي جامعة القاهرة واتهمه البعض بالانتهازية والتخاذل. أما في مجال البحث الأكاديمي فقد انزوى فهمي ولم ينتج حتى وفاته عام ١٩٥٩ إلا القليل من الأبحاث.

والجدير بالذكر أن نجيب محفوظ الذي كان من طلاب جامعة فؤاد الاول في أواخر العشرينات، قد نشر عام ١٩٦٧ كتابا اسماه "المرايا "يضم صورًا يمتزج فيها الواقع بالخيال لرجال ونساء من سكان القاهرة الحديثة يذكرنا بعضها بشخصيات سياسية وأدبية وجامعية رغم أن المؤلف غيّر أسماءها وبعض صفاتها. وأول شخصية في هذا الكتاب تدعى إبراهيم عقل تذكرنا أوصافه ومواقفه بالدكتور منصور فهمي بالذات. وموقف الراوي في "المرايا" من إبراهيم عقل سلبي يميل لتقديمه كإنسان لا يستحق منا الاحترام والثقة، وذلك بخلاف روح التفاؤل والإنسانية التي تميز الكثير من شخصيات "المرايا".

وكان الأستاذ بلاص أول من جذبته شخصية منصور فهمي وأثارت فضوله كباحث

وأديب. فبعد أن قرأ الفصل عن إبراهيم عقل في "المرايا" وقبل كتابة مقاله عنه توجه إلى أرشيف جامعة السوربون ونفض الغبار عن أطروحة فهمي المنسية والتي لم تنشر كما ذكرنا، فدرسها وكتب تقريرًا دقيقًا عن مضمونها، ربما لأول مرة منذ ١٩١٣. ويؤكد بلاص الموقف العلماني الذي التزم به الدكتور فهمي في أطروحته، كما يشدد على موقفه الإيجابي من رسالة رسول الإسلام إذ يؤكد أن موقف الرسول من المرأة كان إنسانيًّا متفهمًا لوضعها في المجتمع، وبالمقابل يندد بإهمال المرأة والاستهانة بها في الأدب العربي الوسيط. إن موقف فهمي كما يراه بلاص يمثل تعاملا إنسانيًّا متعاطفًا مع المرأة لتحريرها من ربقة القيود الاجتماعية، بل إن موقفه يكاد يشابه موقف قاسم أمين في كتابه المعروف "تحرير المرأة".

وهكذا انتشل الأستاذ بلاص رائدًا من رواد الدراسات العربية المعاصرة من هوة النسيان وأثبت لنا أن التهمة البشعة التي دفعته إلى الانعزال والانغلاق لم يكن لها أساس من الصحة.